معتمدو الملك عبدالعزيز ووكلاؤه في الخارج(*)

أ. محمد بن عبدالرزاق القشعمي
مكتبة الملك فهد الوطنية

٤ - عبدالرحمن بن حسن القصيبي: معتمد الملك عبدالعزيز في البحرين (١٣٠٢-١٣٩٦هـ / ١٨٨٤-١٩٧٦م)

اسمه ونسبه:

هو عبدالرحمن بن حسن بن عبدالله، يعود موطن جده عبدالله إلى بلدة (القصب) في نجد، وإليها ينسب وأسرته(١).

أنجب عبدالله ثلاثة أبناء، هم:

- حسن (ت ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م).
- محمد (ت ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م).
- إبراهيم (ت ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م).

وعبدالرحمن هو الابن الثالث لحسن، بعد أخويه عبدالله وعبدالعزيز(٢).

(*) تقدم نشر الجزء الأول من هذا البحث في العدد الأول للسنة الخامسة والثلاثين من مجلة الدارة .

(١) عبدالرحمن الشبيلي، عبدالرحمن بن حسن القصيبي: التجارة والسياسة في بيت واحد. المجلة، العدد ١٣٥٩ (٢٠٠٦/٣/٤م) ، ص٦٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه.

أسرته وفروعها:

كان جد الأسرة عبدالله الذي ينتسب إلى بلدة القصب قد انتقل إلى بلدة حريملاء التي تبعد عن الرياض نحوَ ٩٠ كيلو مترًا إلى الشمال الغربي، وهناك في حريملاء عرف باسم (عبدالله القصيبي)(٣). عمل عبدالله مع القاضي ثم لدى حاكم حريملاء، حيث تولى جمع الزكاة من المزارعين.

أنجب عبدالله ثلاثة من الأبناء هم: حسن ومحمد وإبراهيم، وحين كبر الثلاثة عملوا رعاة للإبل في نجد، ثم صاروا يعملون في تنظيم القوافل الصغيرة، والإشراف على جمع الإبل وتحميلها بالبضائع.

ويبدو أن أقارب عبدالله القصيبي، أو بعض سكان قريته، نزحوا إلى مناطق متعددة، فاتجه بعضهم إلى عسير في جنوبي غرب الجزيرة، واتجه بعضهم إلى الزبير في جنوب العراق، فيما توجه أبناء عبدالله الثلاثة إلى ساحل الخليج العربي نحو عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م. وكانوا يعملون في رعاية الإبل ونقل البضائع من ميناء العقير إلى الهفوف بالأحساء.

كان محمد الأخ الوحيد المتعلم بين الثلاثة، فارتحل إلى البحرين، حيث يزدهر هناك صيد اللؤلؤ، ويُوجد مقر النفوذ البريطاني في الخليج، وعمل محمد مع تاجر كبير من الأحساء يدعى عبدالرحمن بن عيدان، الذي كان يبحث عن كاتب يدون له أعماله المالية.

---

(٣) سمي "القصيبي" بدلاً من القصبي، تصغيرًا للقب، حيث كان غلامًا يافعًا عند وصوله إلى حريملاء.

ثم صار محمد – بتشجيع من بن عيدان – يستخدم جزءًا من ماله لتأسيس تجارة خاصة به، إضافة إلى إدارته تجارة بن عيدان، الذي لم يكن لديه أولاد.

بعد انتقال محمد إلى البحرين توفي أخوه الثاني حسن – والد عبدالرحمن – في مكة أثناء أداء فريضة الحج، وكان قد أنجب الأبناء الثلاثة: عبدالعزيز وعبدالله وعبدالرحمن، فتزوج الأخ الثالث إبراهيم أرملة أخيه حسن.

وفي نحو عام ١٨٩٨م (١٣١٦هـ) أرسل أبناء المتوفى حسن إلى البحرين لمساعدة عمهم محمد في تجارته، ثم أرسلهم عمهم محمد واحدًا تلو الآخر إلى الهند لتعلم اللغة الإنجليزية، وشراء المواد الغذائية، والتعامل مع تجار اللؤلؤ في مدينة بومباي بالهند.

كانت أرباح تجارة عائلة القصيبي في البحرين وبومباي ترسل إلى إبراهيم، الذي كان يشتري في الأحساء حدائق نخيل واسعة(٤).

نشأته وأعماله التجارية:

تلقى عبدالرحمن تعليمه في مدارس البحرين، بعد انتقاله إليها مع أخويه: عبدالعزيز وعبدالله، وبدأ تدريبه على الأعمال التجارية، فأرسله عمه محمد إلى الهند لدراسة

---

(٤) مايكل فيلد، القصيبي قصة عائلة قديمة، في: التجار، ص٢١٧-٢٣٩. (بتصرف).
Fild, Michael. The Merchants: the big business Families of Arabia.- London: John Murray, 1984. p.217 -239.

اللغة الإنجليزية والتدرب على البيع والشراء، وتجارة اللؤلؤ(٥).

بعد ذلك بدأت أعماله التجارية شريكًا لعمه وإخوته الأشقاء وإخوته لأمه (أبناء إبراهيم).

وثمة ملحوظة مهمة في تاريخ عبدالرحمن القصيبي هي أن من يريد أن يقرأ تاريخه أو يدرسه أو يبحث فيه فلا بد له من دراسة تاريخ أسرته وإخوته جميعًا؛ نظرًا لارتباط نشاطه بنشاطهم، وحياته بحياتهم، ولأنه كان ينوب عنهم في المهمات، كما ينوب أحدهم عنه وعنهم، وعلى ذلك سنتعرف على نشاط عبدالرحمن من خلال أنشطة أسرته وعلاقاتهم.

لقاء الملك عبدالعزيز:

يعود لقاء الأسرة بالملك عبدالعزيز إلى عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م؛ إذ التقى إبراهيم - عم عبدالرحمن وزوج أمه - بالملك في أثناء مرور إبراهيم بالرياض في قافلة متوجهة إلى الحج، فجمعت بينهما صداقة قواها انتماء إبراهيم إلى نجد، وإعجابه بقوة الملك عبدالعزيز من خلال الأمن والأمان اللذين تعيشهما دولته، وكرهه للأتراك حكام الأحساء لإهمالهم حماية مزارع النخيل من غارات البدو.

كان الأتراك يستشيرون إبراهيم في كيفية التعامل مع البدو الذين يحيطون بالأحساء، وكان هو يورد المؤن لحامية

---

(٥) إبراهيم المسلم، عبدالعزيز ابن سعود وشخصيات في الذاكرة، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٢هـ، ص١٤٢-١٤٣.

الهفوف التركية، وقد استغل رحلاته بين العقير والهفوف في نقل المعلومات إلى أتباع الملك عبدالعزيز.

كان ضم الملك عبدالعزيز للأحساء مؤشرًا على بدء علاقة متميزة بين عائلة القصيبي والملك عبدالعزيز، فصاروا - القصابا - ممثلين للملك في البحرين، وتولوا بعض المهام من خلال مكاتبهم في بومباي والبحرين.

وبدأت تجارتهم في الازدهار، ولا سيما الأخوة الخمسة، أبناء حسن وإبراهيم: (عبدالعزيز وعبدالله وعبدالرحمن وحسن وسعد)؛ فكانوا مسؤولين عن توفير السكن والغذاء لضيوف الملك عبدالعزيز عند زيارتهم للهفوف، أو للبحرين(٦).

ويقول مايكل فيلد - بعد ذلك -: "وقد كانت عائلة القصيبي هي وسيط الاتصال الدبلوماسي بين ابن سعود (الملك عبدالعزيز) والبريطانيين". كما تولت عائلة القصيبي نقل الخطابات والتعليمات الشفهية بين ابن سعود والقبائل الأخرى. كما كانت تقوم بنقل وجهة نظرها للبريطانيين عن ابن سعود، بناء على تعليمات السلطان نفسه(٧).

ويرى مايكل فيلد - غير جازم - أن الذي كان يمثل الملك عبدالعزيز في البحرين من الإخوة هو عبدالعزيز أو عبدالله، فقال: "واحد من الإخوة - قد يكون عبدالعزيز أو عبدالله - كان يعمل بصفته المندوب السياسي لنقل الأخبار، سواء السياسية أو المالية ذات السرية"(٨). والصحيح أن

---

(٦) مايكل فيلد، المرجع السابق، ص٢٢٢.

(٧) المرجع نفسه.

(٨) المرجع نفسه، ص٢٢٣.

عبدالرحمن هو الذي كان وكيلاً للملك عبدالعزيز في البحرين.

وقد كان بيع الإمدادات من أهم مقومات تجارة القصيبي. وقد كان مكتب العائلة في الهند يمد مكتب البحرين والأحساء بالمواد الغذائية مثل الأرز والشاي والسكر والملابس القطنية والبهارات والأخشاب. وبالنسبة لابن سعود فإن مشترياته كانت أكثر من ذلك حيث كان ما يطلبه - مثل الأرز - يباع في البصرة لحسابه في الرياض ولإمداد الأحساء والقطيف بالتموين ، وكان من ضمن تلك الطلبات الرصاص وألواح الحديد والقضبان المعدنية والقصدير الأبيض وخزائن لمبات وحذوات الأحصنة والمسامير. وقد طُلِب من القصيبي شراء عوامة خفيفة لميناء العقير.

عبدالرحمن وكيل الملك السياسي:

يروي د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي - ابن المترجم له - أن أباه كان قد أوصى بإتلاف كل أوراقه من بعده، وأنه كان يمانع في تدوين سيرته وذكرياته أيام حياته، مما فوّت على الباحثين والتاريخ ثروة لا تقدر بثمن، كما نقل عنه عندما ألح عليه بتدوين سيرته قوله: "هل تريدني أن أكتب ما يعرفه الناس جميعًا؟ فهذا لا قيمة له، ولا يستحق أن يكتب أو يقرأ. هل تريدني أن أذيع أسرارًا هي عندي بمثابة الأمانات؟ وهو ما لا أستطيعه. هل تريدني أن أكذب؟"(٩).

---

(٩) عبدالرحمن الشبيلي، المرجع السابق، ص٦٢.

إن رفض عبدالرحمن لتدوين سيرته أضاع علينا معرفة التاريخ الحقيقي لتوليه غير الرسمي منصب وكيل الملك السياسي في البحرين، ولكننا نرى ذلك امتدادًا لأعمال إخوته في تمثيل الملك تجاريًا وسياسيًا، واستمر ذلك التمثيل منذ عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، ظل القصيبي - رحمه الله - حتى وفاته "الوكيل التجاري" للمملكة العربية السعودية في البحرين، وكانت الوكالة تقوم بما تقوم به القنصليات حاليًا، ومع استقلال البحرين وبدء التبادل الدبلوماسي بينها وبين المملكة استمرت الوكالة، ولكنها تحولت إلى وكالة فخرية(١٠) بل لقد كان عبدالعزيز القصيبي ضمن حاشية الملك عبدالعزيز في اجتماعه بالملك فيصل ملك العراق في رمضان ١٣٤٨هـ/ (١٩٣٠/٣/١٢م)، وكان ضمن وفد الملك في مؤتمر لوبن(١١).

ويعيد مايكل فيلد سبب كره البريطانيين لعائلة القصيبي أنه خلال العشرينيات من القرن العشرين الميلادي (الثلاثينيات من القرن الرابع عشر الهجري) بدأت علاقة ابن سعود بالبريطانيين في التدهور بسبب النزاع مع العائلة الهاشمية في الحجاز والتي كانت الحليف الأساس لبريطانيا أثناء الحرب. وبالتالي فقد ألغت الحكومة البريطانية الدعم الذي كانت تقدمه لابن سعود، وأصبحت عائلة القصيبي ممثلةً لابن سعود في البحرين. وقد استغلوا علاقتهم

---

(١٠) ذكر ذلك ولده الدكتور غازي القصيبي في رسالة خاصة بتاريخ ١٤٢٨/٧/٢٦هـ.

(١١) السماري، المرجع السابق، ص٥٦٥.

بالسلطان وشيوخ الخليج لتحقيق أهدافهم. وقد أيقنت بريطانيا أن القصيبي هم ممثلو النجديين في البحرين(١٢).

وعندما أيقن البريطانيون أن عائلة القصيبي تمثل الملك ابن سعود، بل تنقل له الأخبار من البحرين؛ استغلوا بعض الحوادث البسيطة بين النجديين والفرس، وضغطوا لطرد عبدالله - شقيق عبدالرحمن - من البحرين على اعتبار أنه محرض على الفتنة. ثم خاطبوا الملك عبدالعزيز بأنهم يوافقون على عودته إلى البحرين، بشرطين: أن يقتصر نشاطه على التجارة، وأن يستمع إلى نصائح البريطانيين(١٣).

ويُرجع مايكل فيلد سبب تدهور علاقة عائلة القصيبي مع الملك عبدالعزيز، إلى أن تجارة اللؤلؤ التي كانت عائلة القصيبي تعتمد عليها قد انهارت في الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي (الأربعينيات من القرن الرابع عشر الهجري)، وأدى ذلك إلى إعلان كثير من الشركات العالمية إفلاسها، وكان بعض هذه الشركات مدينًا لعبدالرحمن القصيبي وإخوته، مما أثر على موقفهم المالي.

وكان من المشكلات المالية التي عانت منها عائلة القصيبي تأخر سداد المستحقات المالية من لدن الملك عبدالعزيز، فقد كانوا يزودون الملك بما يلزمه من المواد والمؤن، وبسبب انهيار تجارة اللؤلؤ بدأوا بمطالبة الملك بتسديد بعض مستحقاتهم، دون أن يمنحوه الوقت الكافي لحل المشكلة.

---

(١٢) مايكل فيلد، المرجع السابق، ص٢٢٢.

(١٣) المرجع نفسه، ص٢٢٨.

وفي عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م استدعى الملك الأخوين عبدالعزيز وعبدالرحمن إلى الطائف للاجتماع بهما، وانتهى ذلك الاجتماع إلى حلٍّ نهائي للقضية(١٤).

ومع أن تجارة عائلة القصيبي قد تراجعت إلا أنهم استمروا وكلاء للملك في البحرين، فقد استمر عبدالرحمن في إنجاز المهام المتعلقة بالتجارة الخارجية التي كان يكلفه بها الملك. وقام مكتب القصيبي في البحرين بتوفير التموين لجيش الملك في اليمن أثناء حرب ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.

كما أعد عبدالله سكنًا في مجمعه بالجبيل لبعض العاملين في شركة ستاندرد أويل. وقام مكتب الشركة في الأحساء بتأمين نقل المعدات لشركة البترول.

وفي عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩ قبل بداية الحرب العالمية الثانية كان لعائلة القصيبي الشرف في استقبال الملك عند زيارته للبحرين حيث أعدوا له منزلاً في الرفاع. وكان لهذا الاستقبال العظيم أثر كبير في إخفاء ضعف تجارة العائلة(١٥).

كان من نتائج انهيار تجارة اللؤلؤ في أواخر الثلاثينيات أن دبّ الخلاف بين الإخوة في عائلة القصيبي، ويرجع د. غازي القصيبي - كما ذكر مايكل فيلد - أن سبب اختلافهم يعود إلى عدم اعتمادهم على نظام إداري معين لإدارة أعمالهم، كما لم يكن هناك أي ميزانية محددة لتلك الشركات، أو نظام

---

(١٤) المرجع نفسه، ص٢٣٤-٢٣٥.

(١٥) المرجع نفسه، ص٢٣٥.

مشاركة في الأرباح، بجانب عدم تحديد مسؤولية كل فرد في إدارة تلك التجارة، حيث كان كل أخ يأخذ ما يحتاج من أموال دون الرجوع إلى الآخرين(١٦).

تقدير الملك لعبدالرحمن:

لقد كان عبدالرحمن القصيبي موضع تقدير من الملك عبدالعزيز، بل ويشيد به في كل مناسبة، وقد اختاره الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م ضمن لجنة التفتيش والإصلاح التي ضمت عددًا من الأعيان وأعضاء مجلس الشورى القديم لرعاية مصالح الناس وتأمين راحة الحجاج(١٧).

وفي العام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م صدر مرسوم ملكي بمنحه لقب وزير مفوض من الدرجة الأولى بوزارة الخارجية(١٨)، وفي سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م منحه الملك سعود - رحمه الله - لقب وزير الدولة(١٩).

صفاته وأخلاقه:

لخص مايكل فيلد تقريرًا بريطانيًا حول الإخوة الخمسة، فتحدث عن عبدالعزيز الورع التقي، وعبدالله الذكي النشيط، وحسن حاد الطباع، وسعد المتواضع، ثم قال عن عبدالرحمن: كان متفتحًا، وعلى مستوى عالٍ من التعليم، وكان لديه ميل إلى التعامل في اللؤلؤ، وكان لديه معرفة قليلة باللغتين الفرنسية والإنجليزية، وعادة ما يكون مسؤولاً عن إدارة الشركة في باريس،

---

(١٦) المرجع نفسه، ص٢٣٦.

(١٧) عبدالرحمن الشبيلي، المرجع السابق، ص٦٣.

(١٨) السماري، المرجع السابق، ص٥٦٠.

(١٩) رسالة من الدكتور غازي القصيبي بتاريخ ١٤٢٨/٧/٢٦هـ.

خلال قيامه برحلات خارجية حول العالم، فقد كان إنسانًا متمسكًا بأصوله واعيًا، ولكنه كان معجبًا بنفسه بدرجة كبيرة.

ثم أضاف مايكل فيلد: لقد كان لدى البريطانيين تحفظات تجاه عبدالرحمن - كما لو كانت هذه فكرتهم المعقدة تجاه العرب - لأنه لم يكن يتزلف إليهم أو يتقرب منهم، وكان يعاملهم معاملة الند للند. وقد قال بعضهم عنه إنه كان طماعًا ويحب أن يستعرض، ولكنهم يعترفون بأنه أحد أعظم الشخصيات العربية في العشرينيات والثلاثينيات(٢٠).

كما وصفه مايكل فيلد - نقلاً عن محمد المانع مترجم الملك عبدالعزيز، فيما أخبره - أنه كان شخصية ساحرة، مهذبًا، كريمًا، حسن المظهر، كان يحضر إلى المسجد في بومباي في بهاء وروعة، تزوج عدة زوجات في الهفوف وبومباي والمدينة، حيث كان يحتفظ بثلاث زوجات أو أربعٍ في وقت واحد [بمقتضى الشريعة الإسلامية] وقال - نقلا عن أحد موظفي شركة إستاندرد أويل - إنه كان يحترم عبدالرحمن لأنه شخصية جديرة بالاحترام، فقد كان رجلا ذا قوة، طويلاً، ولم يكن من أصحاب الكروش الكبيرة، وكان وقورًا، تشعر بالبساطة حين تحدثه، أو تعامله(٢١).

حبه للعلم:

كان عبدالرحمن رجلاً متعلمًا، يلم بعدة لغات - كما أسلفنا - وكان إضافة إلى ذلك يحب العلم ويشجعه، وينفق على أهله

---

(٢٠) مايكل فيلد، المرجع السابق، ص٢٣٢.

(٢١) المرجع نفسه، ص٢٣٣.

ويرعاهم. قال عنه حمد الجاسر: هو عميد الأسرة القصيبية.. ويعد من خير رجالات العرب الذين عرفتهم، مما يتمتع به من رغبة في فعل الخير، والإسهام في نشر العلم(٢٢). وقد تجلى حبه للعلم فيما يلي:

١- بناء مدرسة:

ذكر الشيخ حمد الجاسر أن ممن اهتم بشؤون التعليم الشيخ عبدالرحمن بن حسن القصيبي، فقد كان أول من أنشأ مدرسة خاصة على نفقته(٢٣)، لكن الشيخ الجاسر لم يذكر أين أنشأ تلك المدرسة، ولم يورد عنها معلومات تذكر، وإن كنت أرجح أن ذلك في مكة المكرمة.

٢- دعم المدارس:

ذكر الشيخ حمد الجاسر كذلك أن عبدالرحمن القصيبي بذل مساعدات جمة للمدرسة التي أنشأتها الحكومة، بل أمر بأن يكون تلاميذ مدرسته نواة لطلابها(٢٤).

٣- تأسيس مكتبة:

أوردت مجلة "لغة العرب" التي كان يصدرها الأب أنستاس ماري الكرملي ببغداد خبرًا يقول: "عزم الشيخ عبدالرحمن القصيبي، من مشاهير اللآلين - تجار اللؤلؤ - في البحرين والهند ونزيل مكة، اليوم تأسيس خزانة كتب عامة في مكة،

---

(٢٢) حمد الجاسر، من سوانح الذكريات، الرياض: دار اليمامة، ١٤٢٧هـ، ٢/٧٧٦.

(٢٣) المرجع نفسه، ٢/٦٦٦.

(٢٤) المرجع نفسه.

وسيشيد بناءً خاصًا بها في أظهر مكان وأحسن موطن في تلك الحاضرة"(٢٥).

ويبدو أن الأب الكرملي قد نقل هذا الخبر عن صحيفة "أم القرى" إذ أوردت تحت عنوان "مكتبة للمطالعة": "اتصل بنا أن المحسن المعروف الشيخ عبدالرحمن القصيبي تاجر اللؤلؤ في البحرين والهند ونزيل مكة اليوم اعتزم القيام بتأسيس مكتبة عمومية في مكة المكرمة وجعلها وقفًا للمطالعة والدراسة يجلب لأجلها الكتب اللازمة من مختلف العلوم والفنون ويشيد لها بناءً خاصًا في أظهر مكان..."(٢٦).

٤- طبع الكتب:

ذكر علي جواد الطاهر في معجم المطبوعات العربية أن عبدالرحمن القصيبي قد أوقف كتاب "منح الشفا الشافيات في شرح المفردات" للشيخ منصور البهوتي، وهو شرح لكتاب "النظم المفيد الأحمد في مفردات الإمام أحمد" لمحمد بن علي العمري المقدسي(٢٧).

وجاء في مجلة "الإصلاح" في باب "ضيوف مكة الأكرمون": "ومن أصحاب الشخصيات البارزة الذي شرفوا مكة السيد عبدالرحمن القصيبي المحسن الكبير، والتاجر الشهير، وهو أعرف من أن يعرف، بما طبع من كتب سلفية جعلها وقفًا ابتغاء الله على طلبة العلم في غالب الأقطار

---

(٢٥) مجلة لغة العرب، ١ مايو ١٩٣٠م، ص٤٨١.

(٢٦) جريدة أم القرى، ع ٢٧٩، الجمعة ١٣ ذو القعدة ١٣٤٨هـ، ١١ إبريل ١٩٣٠م.

(٢٧) علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية، الرياض: دار اليمامة، ١٤١٨هـ، ص٦٩٠.

الإسلامية، وآخر ما طبع في العام الماضي شرح كتاب التوحيد المسمى فتح المجيد، غير أنه مع الأسف نفدت الألف نسخة التي طبعت منه، وأصبح الناس يتلهفون على نسخة منه فلا يجدون، وهو الآن قائم بطبع الروض المربع شرح زاد المستقنع"(٢٨). وذكر حمد الجاسر أن الشيخ عبدالرحمن القصيبي كان ذا صلة بالأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مطبعة الفتح ورئيس تحرير مجلة الفتح، فتولى طبع عدد من كتب السلف على نفقة الشيخ القصيبي، ومنها - وذكر الكتب الثلاثة السابقة -، وقال: "وكتب أخرى". وقد زار القصيبي القاهرة سنة ١٣٤٨هـ فأقيم له حفل تكريم في جمعية الشبان المسلمين كان من خطبائه الأستاذ محب الدين الخطيب(٢٩).

حبه للخير:

تمثل حبه للخير في إنفاقه في شتى مجالات الخير، ومن ذلك تبرعه بفرش المساجد، فقد أوردت مجلة الفتح خبرًا يقول: "تبرع المحسن العربي الكريم السيد عبدالرحمن القصيبي بمقادير كبيرة من الحصير الهندي الناعم لفرش مسجدي المصلى وقباء في المدينة المنورة، ووصلت الحصر بالفعل إلى المسجدين، والناس يدعون له بالخير..."(٣٠).

---

(٢٨) مجلة الإصلاح، مكة المكرمة، ج ١١، غرة ذي القعدة ١٣٤٨هـ/ ٣٠ مارس ١٩٣٠م، ص ٤٣٨.

(٢٩) حمد الجاسر، من سوانح الذكريات، ٢/٦٦٩.

(٣٠) مجلة (الفتح)، القاهرة، س٤، ع ١٩٥، الخميس ١٨ ذي القعدة ١٣٤٨هـ/ ١٧ إبريل ١٩٣٠م، ص٩. وقد أوردت جريدة أم القرى هذا الخبر بنصه في عددها رقم ٢٦٤، ليوم الثلاثاء ٧ شعبان ١٣٢٨هـ/ ٧ يناير ١٩٣٠م.

عميد الأسرة:

كان عبدالرحمن في العقود الأربعة الأخيرة من عمره عميد الأسرة القصيبية، كما قال عنه الجاسر في السوانح(٣١).

وقال ولده غازي في حديثه عن نشأته: "وكان والدي مشغولاً بأعماله التجارية الواسعة وبشؤون عائلته الكبيرة.."(٣٢).

أبناؤه:

ذكر إبراهيم المسلم أن أولاد عبدالرحمن ثمانية، وهم:

١ - خليفة: رجل أعمال (توفي سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م).

٢ - فهد: رجل أعمال (توفي سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٣ - مصطفى: رجل أعمال (توفي سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٤ - إبراهيم: رجل أعمال.

٥ - خالد: رجل أعمال.

٦ - عادل: رجل أعمال (توفي سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٧ - نبيل: رجل أعمال (توفي ١٣٨٨هـ/ سنة ١٩٦٨م)(٣٣).

٨ - غازي: وزير العمل السعودي(٣٤).

---

(٣١) حمد الجاسر، من سوانح الذكريات، ٢/ ٧٧٦.

(٣٢) غازي القصيبي، سيرة شعرية، الرياض، ١٤٠٠هـ، ص٤٢.

(٣٣) زودني الدكتور غازي القصيبي بتاريخ وفيات إخوته - رحمهم الله - في رسالة أرسلها إليَّ بتاريخ ١٤٢٨/٧/٢٦هـ.

(٣٤) إبراهيم المسلم، المرجع السابق، ص١٤٣.

وفاته:

توفي عبدالرحمن سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، وكان عمره أربعة وتسعين عامًا. وقد رثاه ولده غازي بقصيدة منها:

وفي لحظة يا أبي وصديقي فقدتك عدت يتيمًا صغيرًا
يغالب بين الجموع الدموع ولا يستطيع فيبكي كثيرًا
وأنت هناك فوق الركاب تلوح كعهدي كبيرًا كبيرًا
مهيبًا برغم انطفاء الحياة ورغم انسدال الستار شهيرًا

وهي القصيدة الوحيدة التي نظمها في أبيه، حيًا وميتًا(٣٥).

وقال فيه ولده غازي يصفه في كتابه (المواسم): "... كان رجلاً سبق جيله، بأجيال، وسبق مجتمعه بمراحل، كان متدينًا على الطريقة السلفية، وكانت له علاقات قوية مع أصدقاء من مختلف المذاهب والأديان، طبع على نفقته عشرات الآلاف من الكتب - كتب الفقه الحنبلي المعتمدة - ووزعها على أوسع نطاق... كان رجلاً لكل المواسم عرف الفقر كما عرف الغنى، عرف الصحة وعانى المرض، صاحب الملوك والأمراء وكان شديد القرب من البسطاء والفقراء، حملته تجارة اللؤلؤ إلى الهند وأوربا. تحسب، وتوشك أن تجزم، أنه كان من أوائل السعوديين الذين زاروا لندن وباريس وبقية العواصم الأوربية ووسّعت هذه السفرات أفقه، وتعلم كيف يحترم الآخرين ويحترم حقهم في الاختلاف... كان يحترم التقاليد دون أن

---

(٣٥) غازي القصيبي، سيرة شعرية، ص٩٨.

يخلط قط بينها وبين الدين، وكان يعيش في الحدود التي يرسمها المجتمع دون أن يسمح للمجتمع بأن يصوغه على مثاله، وتزدحم ذاكرتك بصور لا تنتهي عن أبيك في تلك المرحلة، ترى نفسك تغوص بين المقاعد في مكتبه الصغير لتجمع ما تساقط من لؤلؤ وتتلقى المكافأة ربع روبية تتذكر كيف كان يطلق عليك وعلى أصحابك اسم طقة خرخر - الصفة التي يصعب شرحها - والتي تحمل الكثير من التبسيط. تذكر كيف أطلق على حفيد من أحفاده كان يستظرفه لقب الشاعر العباسي المعروف "أبي دلامة"، وظل اللقب مع الحفيد لا يفارقه سنين طويلة. تذكر كلماته في وصف خطيب ممل: خطبه مثل ليالي الشتاء باردة وطويلة، وتذكر أنك لم تره قط غاضبًا ولم تسمعه قط يشتم أحدًا كان عندما يستاء من أحد يسميه الترّس، الترّس؟! ما هو الترّس؟ تذكر أنك سألته ذات يوم عن معنى الترّس، وتذكر كيف أجابك مبتسمًا أن الكلمة لا تعني شيئًا لا تعني سبًّا ولا شتمًا ولا قدحًا. ولهذا فهو يستخدمها بدلاً من استخدام كلمات السبّ والشّتم والقدح، كان هذا درسًا بليغًا، حاولت، بلا جدوى، أن تتعلمه، كما حاولت أن تتعلم منه تسامحه اللامحدود وتعامله الحضاري مع الجميع واحترامه خصوصيات من حوله في عهد لم يكن فيه الآباء يحترمون خصوصيات أبنائهم، حاولت أن تتعلم وتعلمت أشياء وفشلت في تعلم أشياء، كان أستاذك الأول والأفضل - رحمه الله -.

٥ - عبداللطيف بن إبراهيم المنديل: معتمد الملك عبدالعزيز في البصرة والعراق (١٢٩٢-١٣٦١هـ/ ١٨٧٥-١٩٤٢م)

اسمه ونسبه:

هو عبداللطيف بن إبراهيم بن فوزان بن منديل بن فوزان بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن تركي بن حماد بن خميس بن عامر بن بدران. وهذا الفرع يطلق عليه البدارين.

نشأت هذه الأسرة في بلدة جلاجل من إقليم سدير في نجد. وهم أبناء عمومة لآل السديري الذين منهم الأمير أحمد بن محمد السديري، جد الملك عبدالعزيز لأمه.

وتنحدر البدارين من قبيلة الدواسر، التي تعود إلى تنوخ، ثم إلى يعرب بن قحطان[٣٦].. وقال حمد الجاسر: "آل منديل: في جلاجل، من الدواسر"[٣٧]. وكذا نسبه إلى الدواسر حمد بن إبراهيم الحقيل[٣٨]. وأرجعه إبراهيم المسلم إلى قبيلة عنزة[٣٩].

الهجرة إلى البصرة:

هاجر والده إبراهيم من جلاجل وهو فتى يافع متكسّب طموح، إلى البصرة عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، واستطاع بعد

---

[٣٦] يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف باشا آل منديل، بحث غير منشور، ص١.

[٣٧] حمد الجاسر، جمهرة الأسر المتحضرة في نجد، ط١، ٢/٨٧٤.

[٣٨] حمد الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط١٢، ص١٩٦.

[٣٩] إبراهيم المسلم، المرجع السابق، ص١٢٥.

عقدين من الزمان أن يجمع المال والثروة والسمعة والشهرة، ورزقه الله بالنسل الصالح ستة من الذكور، هم: عبدالمحسن، وعبدالرزاق، ويوسف (باشا)، وعبدالوهاب، وعبداللطيف (باشا) - مترجمنا- وخالد.

اتسعت ثروة العائلة ومكانتها الاجتماعية، وامتدت إلى الهند وبغداد والبصرة، فاشتروا المقاطعات الزراعية، وبساتين النخيل في مناطق متعددة من ولاية البصرة العثمانية، فأصبحوا أغنى عوائلها(٤٠).

مولده:

ولد عبداللطيف سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م(٤١)، وقيل: في حدود ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م(٤٢)، فهناك اختلاف في تاريخ مولده. والأرجح ما ذكره يعقوب الإبراهيم أنه من مواليد عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م؛ لأنه وثقه من جواز سفره الصادر عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م. إلا أنه عاد وذكر أن الدليل الرسمي العراقي جعله من مواليد عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م(٤٣).

---

(٤٠) يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف باشا آل منديل، ص٢.

(٤١) السماري، المرجع السابق، ص٥٧٠.

(٤٢) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ع ٦٥٧٩، ٢/١٢/١٩٩٦م، ص٢١.

(٤٣) يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف باشا آل منديل، ص١٠.

العلاقة بآل سعود:

أ - العلاقة مع آل سعود قديماً:

ابتدأت علاقة العائلة مع آل سعود منذ العهد السعودي الأول، حينما سار الإمام عبدالعزيز بن سعود، من الدرعية على رأس جيش كبير عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٤م، ضاربًا على جلاجل حصارًا، أدى إلى الصلح وانقياد جلاجل وأهلها للدعوة، وتأييدهم للحكم السعودي(٤٤)، ومنهم آل المنديل.

وحين خرج الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود وأسرته من الرياض واستقروا في الكويت، زار الزبير وحل ضيفًا على إبراهيم المنديل، في صيف عام١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م؛ لمتابعة الأمور المالية التي رتبتها الدولة العثمانية للإمام وأتباعه.

وبعد وفاة إبراهيم المنديل عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م بعد عمر تجاوز الثمانين عامًا، تولى ابنه الرابع عبدالوهاب مهام الاتصال وتلبية الاحتياجات ومراجعة السلطات العثمانية بتكليف من الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز(٤٥).

ب - العلاقة مع آل سعود حديثًا:

شكل استرداد الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م تاريخًا مفصليًا، فقد استعاد الملك عبدالعزيز عاصمة أجداده، وكبرت مهام آل المنديل، وكبرت معها مهام التوكيل الممنوحة لعبدالوهاب المنديل، يساعده في ذلك شقيقه الأصغر عبداللطيف - مترجمنا - وقد رتبا مع والي البصرة مخلص

---

(٤٤) المرجع نفسه، ص٢.

(٤٥) المرجع نفسه، ص٤.

باشا اجتماعًا في الزبير بعد معركة (الشنانة) التي انتصر فيها الملك عبدالعزيز على ابن رشيد في ١٨ رجب ١٣٢٢هـ. ولم يثمر الاجتماع عن شيء لرفض الملك عبدالعزيز وأبيه التدخل الخارجي في شؤونه.

لم تكن تلك الزيارة هي الأخيرة التي زار فيها الملك عبدالعزيز آل المنديل، فقد زارهم في ١٩ ربيع الآخر ١٣٢٩هـ وأقام في بيتهم البراحة، ثم زارهم في ٢١ المحرم ١٣٣٥هـ/ ١٦ نوفمبر ١٩١٦م، حيث استقبله المقيم البريطاني في البصرة بيرسي كوكس، ومنح وسام فارس الإمبراطورية البريطانية الهندية (K.C.I.E). وقد قامت المس بيل بتصوير الزيارة(٤٦).

وقد كان الملك عبدالعزيز إذا ما خاطب المنديل شفاهًا قال له: "خالي" ولعل هذه القربى تعود إلى قرابة المنديل من عائلة "السديري"، وهم أخوال الملك عبدالعزيز، فكلاهما - المنديل والسديري - ينتمون إلى قبيلة الدواسر(٤٧). كذلك فقد أورد جبران شامية كلمة "نسيبه" في حديثه عن علاقة المنديل بالملك عبدالعزيز(٤٨).

ج - عبداللطيف المنديل وكيلاً للملك عبدالعزيز:

بعد وفاة عبدالوهاب المنديل تولى أخوه عبداللطيف مهام الوكالة للملك عبدالعزيز، ونهض بها خير نهوض، وكان عونًا

---

(٤٦) المرجع نفسه.

(٤٧) اتصال هاتفي مع يعقوب الإبراهيم في ١٤٢٣/٨/١٣هـ (٢٠٠٢/١٠/٢٠م).

(٤٨) جبران شامية، آل سعود ماضيهم ومستقبلهم، لندن: دار رياض الريس، ١٩٨٦م، ص٢٢٤.

وساعدًا، وحظي بثقة لا حدود لها، وطالما كان الملك يستأنس برأيه ويأخذ بمشورته(٤٩). إضافة إلى ذلك كان عبداللطيف المنديل وكيلاً تجاريًا للملك عبدالعزيز(٥٠).

وتشير رسالة أرسلها الملك عبدالعزيز إلى أهل نجد المقيمين في بغداد - والعراق - مؤرخة في ٣٠ المحرم ١٣٤٢هـ يدعوهم فيها إلى الإسهام برأسمال الشركة الشرقية للتنقيب عن الزيت (البترول)، وقد طُرح ستون ألف سهم لمن أحب الاشتراك، وجعلت قيمة السهم الواحد جنيهًا إنكليزيًا واحدًا. وقد صدرت التعليمات لعبداللطيف باشا المنديل بأن يكون الاكتتاب لديه(٥١). ويورد يعقوب الإبراهيم جزءًا من رسالة برقية من الملك عبدالعزيز، ونصها كما يلي: "فقرة ٩: بعد وفاة الكابتن شكسبير(٥٢)، أرجو تعيين ضابط مقامه؛ وإن تعذر ذلك فلتكن جميع المباحثات مع عبداللطيف باشا المنديل وكيلنا في البصرة"(٥٣). وفي ذلك دلالة قاطعة على الثقة التي منحها الملك عبدالعزيز لعبداللطيف المنديل.

---

(٤٩) المرجع السابق، ص٥.

(٥٠) يحيى الربيعان، فيصل الدويش والإخوان، الكويت، ١٩٩٧م، ص١١٢.

(٥١) رسالة من الملك عبدالعزيز إلى عبداللطيف المنديل.

(٥٢) الكابتن شكسبير: ضابط إنجليزي برتبة نقيب، قتل خطأ في معركة "جراب" بين الأرطاوية والزلفي، وقد حدثت بين الملك عبدالعزيز وابن رشيد.

(٥٣) يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف المنديل، ص١٢ (نقلاً عن وثيقة صادرة من المكتب العربي - قسم العراق، رقم ب ٢٥١).

مواقفه مع الملك عبدالعزيز:

أ - تأييده:

لقد كان مؤيدًا للملك عبدالعزيز، ومنافحًا عنه حتى في أصعب الظروف، فمما يروى عنه أثناء قيام الملك عبدالعزيز بضم الأحساء، وطرد الأتراك عنها - وكان وكيلاً للملك في البصرة - كتب إليه الملك قائلاً: "إذا سألك الترك: هل أنت مندوب ابن سعود؟ فقل لهم: إني عثماني"، وقد أشار عليه بذلك خشية أن يلحقه ضرر منهم. ولكن عبداللطيف المنديل لم يعمل بإشارة موكله؛ فلم ينكر أنه نجدي، ولا كونه وكيلاً للملك عبدالعزيز، وقال للأتراك: "لقد جهلتم قدر هذا الرجل، وها هو يعرفكم بنفسه". وقد حضر المنديل بعد ذلك مؤتمر الصبيحية الذي أسفر عن تحييد الأتراك واعترافهم بسيادة الملك عبدالعزيز في الأحساء(٥٤).

ويشير يعقوب الإبراهيم إلى محضر جلسات مجلس الوزراء العراقي يوم ٢٩ رجب ١٣٤٠هـ/ ٢٧ مارس ١٩٢٢م، وكيف تصدى عبداللطيف باشا المنديل (وزير التجارة في وزارة عبدالرحمن النقيب الثانية) لمحاولة الملك فيصل الأول حين أراد زج العراق في صدام عسكري ضد الملك عبدالعزيز، فقد أقنع عبداللطيف صديقه الحميم ناجي السويدي وزير العدلية، وصبح عزت باشا وزير الأشغال، والدكتور حنا خياط وزير الصحة، والحاج رمزي وزير الداخلية، ومحمد الشهرستاني وزير المعارف - بمعارضة

---

(٥٤) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ص٢١.

الاقتراح. فنجحت المحاولة في مجلس الوزراء في تحييد العراق، وعزل المبادرة الهاشمية، ولم يستطع الملك فيصل الحصول على موافقة مجلس الوزراء، مما أثار امتعاضه، وثارت ثائرته بعد اطلاعه على محضر الجلسات، ووقوفه على ما قام به عبداللطيف باشا المنديل في إفشال تلك المحاولة.

كما رفع المندوب السامي بيرسي كوكس تقريرًا بذلك إلى تشرشل وزير المستعمرات. وبعدها استدعى الملك فيصل - ملك العراق - عبداللطيف باشا وطلب استقالته، ففعل، وتبعه الوزراء الخمسة ثم تبعهم بقية الوزراء، فسقطت الوزارة في ٦ المحرم ١٣٤١هـ/ ٢٨ أغسطس ١٩٢٢م. وحظيت استقالة المنديل أولاً بقبول الملك فيصل لما كان معروفًا عنه انحيازه إلى سلطان نجد، فقد كان المنديل يعادل فيلقًا سعوديًا في أرض العراق. بل رجل إطفاء ينزع فتيل الحرائق إذا اقتضت الضرورة(٥٥).

ب - توسطه بين العثمانيين والملك عبدالعزيز:

في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٥ مارس ١٩١٣م ضم الملك عبدالعزيز الأحساء إلى نجد، وأجلى عنها الجيش العثماني وجميع الموظفين الأتراك، وجهز لهم باخرة أقلتهم إلى البصرة. ثم فشلت جهود الدولة العثمانية لاستعادة الأحساء عسكريًا، فالتمست من طالب باشا النقيب أن يتوسط بينها وبين الملك عبدالعزيز لتسوية النزاع سلميًا.

وافق الملك على طلب طالب النقيب ودعاه إلى مكان بين الكويت ونجد يدعى (الصبيحية) فتوجه النقيب على رأس وفد

---

(٥٥) يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف باشا آل منديل، ص١١.

يتكون من: سامي بك، متصرف الأحساء السابق، وعمر فوزي بك، ضابط برتبة مقدم، وأحمد الصانع، وعبداللطيف المنديل.

أسفرت المفاوضات عن قبول ابن سعود بتسمية الحكومة العثمانية له واليًا على الأحساء لمدة عشر سنوات قابلة للتجديد والتمديد... وأنعمت الدولة العثمانية على أحمد الصانع وعبداللطيف المنديل بلقب الباشوية، استجابة لرغبة طالب النقيب(٥٦).

جـ - مدير ميناء العقير:

استعان الملك عبدالعزيز في بداية تأسيسه أركان المملكة الحديثة برجالات كثر، وقد عهد إلى عبداللطيف المنديل بإدارة ميناء العقير على الخليج لتنظيم إدارته وموارده، فتضاعفت موارد الميناء من الجمارك في عهده أكثر من عشر مرات(٥٧).

د - توسطه بين حكومتي العراق ونجد:

لما توترت العلاقات بين حكومة فيصل الأول ملك العراق وحكومة نجد عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، على قضايا الحدود، حتى ساء الموقف بين الجارتين العربيتين؛ انتدبت حكومة العراق عبداللطيف باشا المنديل للوساطة، فاستطاع بحنكته السياسية أن يسوي الخلاف ويرضي الطرفين ويعيد الأمور إلى مجراها الطبيعي(٥٨).

---

(٥٦) يحيى الربيعان، المرجع السابق، ص١١٠-١١٢.

(٥٧) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ص٢١.

(٥٨) عبدالرزاق الصانع وعبدالعزيز العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩-١٣٤٢هـ، الرياض، ١٤٠٨هـ، ٣/ ٢٣٦.

هـ - مع الملك عبدالعزيز أمام الإنجليز:

كان عبداللطيف المنديل عضوًا في الوفد السعودي برئاسة الملك عبدالعزيز في مؤتمر العقير في ربيع الآخر ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، وكان له دور بارز في الوصول إلى النتائج التي تمخض عنها ذلك المؤتمر، وأهمها: الاعتراف بعبدالعزيز آل سعود سلطانًا على نجد وملحقاتها، وتعيين خط الحدود بين نجد والعراق، ونجد والكويت، وتأسيس منطقتين محايدتين، أولاهما بين نجد والعراق، والثانية بين نجد والكويت(٥٩).

و - مع الوفد الكويتي:

وكما كان مع الملك عبدالعزيز أمام الإنجليز فقد وقف هنا أمامه عضوًا في الوفد الكويتي الرسمي في مؤتمر الصلح بين نجد والكويت، الذي عقد في الصبيحية في رجب ١٣٣٩هـ/ مارس عام ١٩٢١م، برئاسة الشيخ أحمد الجابر الصباح، ولي العهد الكويتي(٦٠).

أخلاقه:

حبا الله عبداللطيف المنديل بصفات وأخلاق، ميزته عن أقرانه ومعاصريه، ومنها:

---

(٥٩) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م، ١/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٦٠) يحيى الربيعان، المرجع السابق، ص١٠٨.

أ - الحكمة:

فإن مما ميزه الله به الحكمة والكياسة والفطنة؛ مما أهله لأن يكون وسيطًا في أكثر من مؤتمر، ولأن يكون محاورًا محنكًا، ومفاوضًا أريبًا، ومستشارًا أمينًا.

ب - التدين والصدق في التعامل:

وقد مر معنا أن الملك عبدالعزيز قد استأمنه على أموال الناس المقدمة للإسهام في التنقيب عن البترول.

وفي الخصلتين السابقتين: الحكمة والصدق لدى عبداللطيف المنديل قال معروف الرصافي يذكرهما(٦١):

عبداللطيف بفضله جعل الورى   أسرى مكارم أسرة المنديل
حرُّ الضمير مؤيد بفطانة   يرمي برأي في الأمور أصيل
إن قال حقًا قاله بصراحة   لم يخش لومة لائم وعذول

ج - الكرم وحسن السلوك:

وصفه عباس بغدادي في كتاب: (بغداد في العشرينات) حين ذكر باشوات العراق فقال: "ومنهم عبداللطيف باشا المنديل، ....، وكان محبوبًا لكرمه وحسن سلوكه وضيافته الباذخة"(٦٢). وهو بذلك كان محبوبًا لأهل بغداد والبصرة، بل لكل العراقيين، فضلاً عن النجديين الذين كان يستقبلهم كلما نزلوا البصرة.

---

(٦١) ديوان الرصافي، بيروت: دار المنتظر، ٢٠٠٠م، ص٥٠٥.

(٦٢) عباس بغدادي، بغداد في العشرينيات، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٨م، ص٣١٧.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثاني ربيع الآخر ١٤٣٠هـ السنة الخامسة والثلاثون
الدارة

المنديل والحركة الوطنية العراقية:

كان المنديل من أغنى أغنياء مدينة البصرة في العراق، إلى جانب ما كان يتمتع به من فطنة وذكاء، وحب لوطنه الذي يقيم على ترابه: العراق، الخاضع للدولة العثمانية، فكان عبداللطيف المنديل عضوًا وطنيًا فاعلاً في الحركة الوطنية ضد سياسة التتريك التي انتهجها الأتراك في أواخر حكمهم، وهي السياسة التي سار عليها حزب الاتحاد والترقي من مناوأة صريحة للعرب، وغمط لحقوقهم، وبطش بزعمائهم.

وقد كان عبداللطيف المنديل حاضرًا مع وطنيي العراق في الاجتماع الذي دعا إليه طالب باشا النقيب في بيته في البصرة، ودعاهم فيه إلى تأسيس الحزب الحر المعتدل، ترتكز مبادئه على إنصاف العرب واسترجاع حقوقهم، والمطالبة بما يعود على البلاد العربية بالخير، ويقارع حزب الاتحاد والترقي، ويكيل لهم الصاع صاعين، ويضع حدًا لمظالمهم. فوافقوا جميعًا. وقد انتخب طالب النقيب رئيسًا، وكان المنديل عضوًا في الهيئة الإدارية للحزب(٦٣). وقد كان للحزب تأثير بالغ في الحركة الوطنية، فحقق خطوات ناجحة وكسب ثقة شريحة كبيرة من الجماهير، إلا أنه حُلّ في ٢٢ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٢٨ فبراير ١٩١٣م، وتأسست بعده مباشرة الجمعية الإصلاحية في البصرة، فانضم إليها أغلبية أعضاء الحزب المنحل، وجرت انتخابات للهيئة الإدارية للجمعية، فاز برئاستها طالب باشا النقيب، وكان عبداللطيف

---

(٦٣) باسل سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، بيروت: دار الساقي، ١٩٩٨م، ص١٢٠.

المنديل عضوًا في مجلس إدارتها، وكانت أهداف الجمعية هي أهداف الحزب المنحل نفسها(٦٤).

وقد كان هذا العمل الوطني مدعاة للاتحاديين الأتراك في التفكير في التخلص من طالب النقيب وبعض الشخصيات الوطنية ومنهم عبداللطيف المنديل؛ إلا أن طالب النقيب استطاع إحباط تلك المحاولة، بل قتل فيها فريد بك متصرف الناصرية(٦٥).

المنديل والمناصب الحكومية العراقية:

بعد دخول الاحتلال البريطاني إلى العراق، وفرض الانتداب على العراق، ارتأى المندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس تشكيل حكومة وطنية تحت نظر الانتداب، وكانت أول حكومة اختير رئيسًا لها عبدالرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد، واختار عددًا من الوزراء من ذوي البيوتات المعروفة، وكان إعلان الحكومة المؤقتة في ١٢ صفر ١٣٣٩هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ١٩٢٠م.

كان عبداللطيف المنديل وزيرًا للتجارة في هذه الوزارة، وبقي وزيرًا حتى ٢١ شعبان ١٣٣٩هـ/ ٢٩ أبريل ١٩٢١م، حيث استقال من منصبه، وبقي ذلك المنصب شاغرًا حتى استقالة الوزارة النقيبية الأولى في ١٩ ذي الحجة ١٣٣٩هـ/ ٢٣ أغسطس ١٩٢١م(٦٦). وكانت استقالته احتجاجًا على

---

(٦٤) المرجع نفسه؛ يحيى الربيعان، المرجع السابق، ص١٠٩.

(٦٥) باسل سليمان فيضي، المرجع السابق، ص١٣٢-١٣٤.

(٦٦) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٤٠٨هـ، ١/ ١٨-٢٠.

إبعاد زميله طالب النقيب - وزير الداخلية - ونفيه إلى جزيرة سيلان بالهند؛ لأنه عارض اختيار الملك فيصل لعرش العراق(٦٧).

في ذلك اليوم كان تتويج فيصل الأول ملكًا على العراق، وفي اليوم ذاته رفع عبدالرحمن النقيب استقالة حكومته إلى الملك فيصل. وفي ٧ المحرم ١٣٤٠هـ/ ١٢ سبتمبر ١٩٢١م كلف الملك فيصل عبدالرحمن النقيب بتشكيل الحكومة الهاشمية الأولى الوزارة النقيبية الثانية، وفي اليوم التالي صدرت الإرادة الملكية بتشكيل الوزارة، وكان عبداللطيف المنديل وزيرًا للتجارة فيها.

وفي ٢٩ رجب ١٣٤٠هـ/ ٢٧ مارس ١٩٢٢م طلب الملك فيصل من مجلس الوزراء البحث في الرد على غارات الإخوان النجديين على أطراف العراق، واتخاذ الوسائل اللازمة للرد على سلطان نجد [الملك عبدالعزيز]. وخلال جلسة المجلس في اليوم المذكور ووجه اقتراح الملك فيصل بمعارضة من قبل خمسة من الوزراء، فكان رأيهم أن الغارات الحدودية لا يجوز أن تقود إلى حرب بين العراق ونجد تصفيةً لخلافات سابقة بين الأسرتين السعودية والهاشمية (بين فيصل وابن سعود).

لم يرتح الملك فيصل لموقف الوزراء الخمسة، فطلب إليهم تقديم استقالتهم في ٢ شعبان ١٣٤٠هـ/ ٣٠ مارس ١٩٢٢م، وهم: ناجي السويدي، وزير العدلية، والحاج رمزي وزير الداخلية، وعبداللطيف المنديل وزير التجارة، وعزت

---

(٦٧) المرجع نفسه، ص٤٦.

الكركوكلي وزير الأشغال والمواصلات، ومحمد الشهرستاني وزير المعارف، وحنا خياط وزير الصحة، ثم تبعهم وزير المالية ساسون حسقيل، إلا أن استقالة هذا الأخير لم تقبل(٦٨).

دخل عبداللطيف المنديل الوزارة مرة ثالثة وزيرًا للأوقاف في وزارة عبدالمحسن السعدون الأولى المشكلة في ٣٠ ربيع الأول ١٣٤١هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٩٢٢م(٦٩)، ولم يمكث المنديل في هذه الوزارة سوى سبعة أيام فقط(٧٠).

انتخب عبداللطيف المنديل عضوًا في المجلس التأسيسي سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م(٧١). وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م أصبح عضوًا في مجلس الأعيان(٧٢) واستقال في سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، وترك العمل السياسي ليتفرغ لشؤونه الخاصة(٧٣).

المنديل والبصرة:

شكلت البصرة في وجدان عبداللطيف المنديل هاجسًا جعله يغرم به أيّما غرام، فهي مسقط الرأس ومرتع الصبا، ومهد الذكريات؛ ولذا كان للمنديل دور كبير في البصرة خاصة، فقد كان إبان الحكم العثماني عضوًا في مجلس ولاية البصرة وملحقاتها، ثم عضوًا في مجلس الإشراف خلال

---

(٦٨) المرجع نفسه، ص٨٠-٨٨ .

(٦٩) المرجع نفسه، ص١٥٥.

(٧٠) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ص٢١.

(٧١) المرجع نفسه.

(٧٢) المرجع نفسه.

(٧٣) المرجع نفسه.

فترة الاحتلال البريطاني (١٣٣٢-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٩م) وقد أسهم في تطوير المدينة، ومن الأعمال التي تذكر تزويده البصرة بمياه الشرب النقية، وذلك أول مشروع لإسالة المياه في العراق وإنارتها بالكهرباء وإصلاح وسائل الزراعة وتنشيط التجارة فيها وإعمارها(٧٤).

والشيء بالشيء يذكر فإن المنديل أطلق اسم السعودية على أحد أحياء البصرة، الواقع على ضفاف شط العرب، وهذا من مظاهر محبته لآل سعود، وللسعودية(٧٥).

المنديل وانفصال البصرة عن العراق:

نظرًا لاهتمام المنديل بالبصرة فقد أرسل عريضة وقعها هو وأحمد الصانع إلى المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس يدعو فيها إلى فصل البصرة عن العراق وضمها إلى التاج البريطاني، وهذا نص العريضة: "فخامة السر برسي كوكس المندوب السامي لصاحب الجلالة البريطانية في العراق، بناء على ما فهمناه من التصريحات المتكررة لسعادة القائد العام للقوات البريطانية أن من حقنا أن نختار شكل حكومتنا، ولما كنتم فخامتكم قد عدتم من مصر بعد مباحثات مع وزير المستعمرات حول شكل الحكومة التي ستؤسس في العراق، ونظرًا لما هو معروف عن إنصاف الحكومة البريطانية وعدالتها وعطفها، وهذا بالرغم من كون الإدارة بيد العسكريين، وبالنظر للتطورات المنتظرة في

---

(٧٤) المرجع نفسه.

(٧٥) المرجع نفسه.

تأسيس حكومة مدنية تحلّ محلها، ولما كان أمامنا نموذج للدول المستقلة التي تتمتع في ظل العلم البريطاني بما تتمتع به من راحة وعدالة وأمن على أرواحها وممتلكاتها... ولذلك فإننا نيابة عن سكان البصرة نود أن نعرض رغباتنا كما يأتي: إننا لا نرغب في أن يكون لنا أي نوع من الحكم بديلاً عن الحكومة البريطانية. إن رغبتنا هي أن نبقى إلى الأبد في حماية صاحب الجلالة البريطانية، وأن تعاملنا بنفس معاملتها للرعايا البريطانيين، وأن تشملنا بمودتها وعطفها لنعيش تحت علمها العظيم وظلها الواقي، إن هذا الرأي تم التوصل إليه بعد التأمل، وأنه أفضل أمر لمصلحتنا ومصلحة أبنائنا وأحفادنا وأملنا أن لا يرفض طلبنا هذا. أحمد الصانع - عبداللطيف المنديل".

كانت هذه الفكرة بعد ترشيح مؤتمر القاهرة(٧٦) الملك فيصل بن الحسين لعرش العراق، إلا أن فكرة الانفصال دفنت سريعًا نتيجة الجهود التي بذلها بعض الوطنيين من أبناء البصرة.

ولما حدث الخلاف في مجلس الوزراء العراقي حول غارات الإخوان السعوديين، واستقالة الوزراء الخمسة الذين منهم عبداللطيف المنديل من حكومة عبدالرحمن النقيب عادت فكرة الانفصال إلى الظهور، وكتبت عريضة جديدة وقعها

---

(٧٦) عقد مؤتمر القاهرة في جمادى الآخرة ١٣٣٨هـ/ مارس ١٩٢٠م، ليبحث علاقة الدولة العراقية الجديدة ببريطانيا العظمى، وشخصية من سيتولى حكم العراق، ونوع القوات فيه وشكلها، ووضع المناطق الكردية. انظر: عبدالرزاق الحسني، المرجع السابق، ١/٣٦.

أكثر من ٤٥٠٠ شخص - وكان المنديل منهم -، وقدمت إلى المندوب السامي البريطاني وتضمنت (٢٣) بندًا يدعو إلى إعطاء البصرة حكمًا ذاتيًا مع اتحادها مع العراق تحت حكم الملك فيصل(٧٧). إلا أن الفكرة ماتت مرة أخرى.

أعماله الخيرية:

كان المنديل من أغنى أغنياء العراق؛ مما أهله لأن يقوم بالأعمال الخيرية، يدفعه إلى ذلك حبه للخير وعمله، ومن أبرز أعماله الخيرية:

أ - عنايته بالزراعة:

اهتم عبداللطيف المنديل بإصلاح وسائل الزراعة وتنشيط التجارة فيها(٧٨). وكذلك عني المنديل بجر الماء من شط العرب إلى بلدة الزبير(٧٩)، كما كان عضو الجمعية الزراعية التي تشكلت في بغداد عام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ) برعاية الملك فيصل الأول.

يقول سليمان فيضي في مذكراته تحت عنوان الجمعية الزراعية الملكية: "عندما زار جلالة الملك فيصل البصرة في ١٣ ديسمبر ١٩٢٨م (غرة رجب ١٣٤٧هـ)، دعاني للمثول بين يديه لبحث مشروع ري كنت قد أعددته من قبل وقدمت به اقتراحًا إلى الحكومة. ويتلخص المشروع في شق ترعة ما بين

---

(٧٧) انظر نص عريضة الانفصال في: عبدالرزاق الحسني، المرجع السابق، ١/ ١٠٢-١٠٥.

(٧٨) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ص٢١.

(٧٩) مجلة لغة العرب، أغسطس ١٩٢٦م، ص١٠٨.

نهر كرمة علي وخور عبدالله، تروي مساحات شاسعة من الأراضي المهملة. وبعد أن فرغت من تلخيص دراساتي للمشروع، انتقلنا إلى بحث الأحوال العمرانية والاقتصادية في البصرة فقال لي جلالته: "لقد تشكلت في بغداد جمعية زراعية تحت رعايتي، وأرغب في أن تقوم أنت بتأسيس فرع لهذه الجمعية في البصرة، وإنك قد تحتاج إلى من يساعدك في تأسيسها، فانتخب واحدًا من كبار الملاكين ليكون في عونك. فوقع اختياري على عبداللطيف المنديل. فأردف جلالته قائلاً:

إذن سوف أوعز إلى رشيد عالي بتوجيه كتاب رسمي إليكما للبدء بالعمل.

وهكذا تأسست الجمعية الزراعية الملكية في البصرة، وانتخب لرئاستها السيد هاشم النقيب، وانتخبت أنا للسكرتارية. وبعد عام من تأسيسها انحلت، على أثر انحلال الجمعية المركزية في بغداد"(٨٠).

ب - جمع الكتب والمخطوطات:

جاء في مجلة لغة العرب للأب أنستاس الكرملي نقلاً عن لسان عبداللطيف جلبي آل ثنيان ما يلي: "... وبعد أن تسنم سيدنا الملك المفدى عرش العراق فكر أحد وزراء الأوقاف وهو عبداللطيف باشا المنديل بإنشاء خزانة يجمع فيها شتات المصنفات المبعثرة في الجوامع، وإضافة ما يمكن إضافته إليها، وبادر للعمل وباشر تشييد هذه البناية في (باب الآغا)

---

(٨٠) باسل سليمان فيضي، المرجع السابق، ص٤١٤.

التي نحن فيها فانحلت الوزارة قبل إتمامها..."(٨١). وقد أكمل البناء في عهد الوزير اللاحق له، أحمد الشيخ داود.

وفي الحديث عن مكتبة الزبير الأهلية، وذكر من تبرع للمكتبة نقدًا أو عينًا من الكتب، ذكر مؤلفا كتاب (إمارة الزبير بين هجرتين) اسم عبداللطيف المنديل في جملة المتبرعين، وجاء فيه: "وكان من باكورة عمل الهيئة الجديدة أن أرسلت كتبًا إلى شخصيات معينة مرموقة لتضعهم موضع المسؤولية أمام مؤسسة أدبية في بلدهم لإسنادها مادة وأدبًا. وبعد أيام تسلمت كتابًا من المحسن الكبير عبداللطيف باشا المنديل يقول فيه: استلمت كتابكم المرفق طيه أرسل لكم صكًا على المصرف الشرقي مؤرخًا ٣٨/١/١٩، ومرقمًا بعدد ١٦٤٥٤ بمبلغ مائة دينار كإعانة لهذا المشروع ودمتم، عبداللطيف المنديل"(٨٢).

المنديل وقتل البعير:

ثمة حادثة أو قصة طريفة يرويها هاشم الرفاعي في مذكراته تبين فكر عبداللطيف المنديل، ورؤيته الثاقبة للمستقبل الواعد الذي ينتظر الجزيرة العربية، ولا سيما المملكة العربية السعودية، وما يسرع من عملية التطور والتحديث في بدايات القرن العشرين الميلادي، فالمنديل يرى لتسريع عملية التطور والتمدن ضرورة قتل البعير!!

---

(٨١) مجلة لغة العرب، ج ٩، السنة ٦، ص٧١٨.

(٨٢) عبدالرزاق الصانع وعبدالعزيز العلي، المرجع السابق، ص٢٩٨، ٣٠٨.

ولنقرأ ما كتبه هاشم الرفاعي عن الحادثة وتعليقه عليها أثناء مؤتمر العقير سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م: "في ليلة مقمرة من ليالي الربيع الجميلة كنت ومعالي المنديل والأستاذ الريحاني في خيمة نصبت على تل من رمل العقير الذهبي نتجاذب أطراف الحديث، فجرنا البحث إلى موضع العوامل والأسباب التي من شأنها أن تنهض عرب الجزيرة من كبوتهم، فكان للريحاني آراؤه الخاصة وكنت أنا الآخر أدلي بما يعنّ لي من الآراء حول هذا الموضوع، أما الباشا فقد اقتصر رأيه على وجوب قتل البعير!!

اقتلوا البعير!! هذا ما كان يقاطعنا به الباشا كلما أدلينا برأي يخص الموضوع الذي نحن بصدده!!

اقتلوا البعير!! ولماذا نقتله يا باشا؟

لأن قتله يضطر عرب الجزيرة إلى استخدام واسطة السفر والانتقال السريعة فيزداد اتصالهم بالعالم المتمدين [المتمدن] وبهذا الاتصال يمكنهم الأخذ بأسباب رقيه وتقدمه ومجاراته في مضمار حضارته، ثم وقتل البعير ينجم منه فائدة أخرى قد تكون من العوامل القوية ذات الأثر الكبير في نهوض العرب، ذلك لأن الانصراف عن هذه الواسطة الحيوانية ذات السير الوئيد يخفف كلفة النقل فيعم الرخاء، وتقصر المسافات فتتسع الأعمال.

اقتلوا البعير!! نعم.. ها نحن نرى السيارة تغزو البعير بغية قتله، ولكن هل هذه الغزوة التي شنت غارتها عليه ففتكت به كافية بالمرام ؟! وهل هي ما كان يتمناه الباشا بمعنى أنه كان

يرغب في أن تحل السيارة محل البعير؟! ثم وهل هي رغم ما تستنزفه من ثروة البلاد كافية لقطع دابره نهائيًا وخلاصنا منه وإن كان له فضل علينا فيما مضى من الزمن؟!

إنني أعتقد - والكلام للرفاعي - أن الباشا لو كان يتصور أن الآلة الوحيدة التي سيقتل بها البعير هي السيارة لفضَّل أن يبقى البعير على قيد الحياة أبد الدهر!!

أجل إنني أعتقد ذلك إذ إنه وهو الحكيم المفكر كان يبغي قطع وريد البعير ولكن لا بعجلات السيارات التي لا تحتمل رمضاء رمال الجزيرة المحرقة وصخورها الوعرة الملتهبة بل بقضبان السكك الحديدية تنساب في نفود الدهناء ووهاد الصمان فلا تبقي عليه ولا تذر.

هذه رغبة الباشا وهي عزيزة على الملك العربي العظيم فعسى أن يحققها الله على يده فيقتل البعير، ويقتل شر قتلة، ولكن بقضبان السكك الحديدية لا بعجلات السيارات!!

إن السيارة وإن قربت بين المسافات في أواسط بلاد العرب، إلا أنها في الوقت نفسه، أضرت ثروة البلاد بما استنزفته من نقود لا عوض لها، وإذا تذكرنا أن تلك البلاد فقيرة وفي مستهل حياة نموها الاقتصادي جاز لنا أن نطلب وجوب الانصراف عن الإكثار منها والتفكير في الحصول على واسطة سريعة تحل في محل البعير الذي آن أوان إحالته على التقاعد، غير السيارة التي هي من عمل الشيطان أجار الله العرب من خسائرها العظمى في ثروة البلاد!"(٨٣).

---

(٨٣) هاشم الرفاعي، من ذكرياتي، بغداد: مطبعة الرشيد، ١٣٥٨هـ، ص٧٥-٧٧.

المنديل والشاعر معروف الرصافي:

الشاعر العراقي معروف الرصافي ١٢٩٢-١٣٦٤هـ (١٨٧٥-١٩٤٥م) ربطته بعبداللطيف المنديل علاقة صداقة حميمة جعلته يصرح أنه لا يأتمن أحدًا سوى المنديل في هذا البلد العراق(٨٤).

ويذكر الرصافي في رسالة أخرى إلى المنديل أنه تجنب طول حياته سؤال الناس بشعره، أو التكسب به، ولما ألجأته الضرورة إلى ذلك اختار لمدحه أغنى رجل في العراق، فلم يعد منه بطائل، ولما بلغ المنديل ما به، أرسل إليه حوالة بستمائة روبية، فرد يشكره على ذلك(٨٥).

كما شكره مرة أخرى لمنحه ألف روبية، بعد تعرضه للسرقة التي لم تبق له باقية(٨٦).

وكان الرصافي قد زار المنديل في البصرة، وذكر مصطفى علي شارح ديوان الرصافي - يشرح قصة تلك الزيارة - فيقول: "بعد أن استقال شاعرنا من التدريس في دار المعلمين العالية سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م ركب القطار من بغداد مظهرًا أنه يريد الذهاب إلى الحلة وهو يريد البصرة ليسافر منها إلى الهند على أن يترك العراق ولا يعود إليه، فلما جاء

---

(٨٤) رسالة من الرصافي إلى المنديل بتاريخ ٢٢ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ/ ٧ أكتوبر ١٩٢٨م. المصدر: عادل المنديل.

(٨٥) رسالة من الرصافي إلى المنديل بتاريخ ٢٦ شوال ١٣٤٠هـ/ ٢١ يونيو ١٩٢٢م.

(٨٦) رسالة من الرصافي إلى المنديل مؤرخة في ٢١ ذو القعدة ١٣٤٠هـ/ ١٥ يوليو ١٩٢٢م.

البصرة نزل على صديقه عبداللطيف المنديل وطلب إليه أن يهيئ له أسباب السفر إلى الهند فأجابه إلى ذلك، إلا أن عبدالمحسن السعدون أبرق إلى عبداللطيف المنديل، وإلى متصرف البصرة بمنعه من السفر، فصار عبداللطيف يعرقل أمر السفر بعدما كان يهيئه ويسهله، ولما نزل الشاعر على عبداللطيف المنديل أنشده هذه القصيدة":

أبا ماجد إني عهدتك مبصرًا
خفايا أمور أعجزت كل مبصر
إذا خفيت يومًا عليك حقيقة
نظرت إليها من ذكاء بمجهر
وإن ليلة الخطب أدلهمت كشفتها
بأوضاح صبح من فعالك مسفر
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
بأن بني المنديل أكرم معشر
فهل أخفيت حالي عليك وقد بدا
لكل صديق أنها حال مقتر
أتيتك من بغداد لم أدر ما الذي
أتى بي إلا أنني في تحير

إلى أن قال:

وإن حديثي عنك غير مرجم
وإن مقالي فيك غير مزور

سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدا
بعزمة لا وان ولا متقهقر
وسوف ترى مني مدى الدهر شاكرًا
وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
وأكتب للتأريخ ما أنا كاتب
ليجعله أحدوثة كل مخبر(٨٧)

بيت المنديل في البصرة:

يعد بيت المنديل في البصرة تحفة معمارية بناه عبداللطيف باشا، وقد قام بنقل الأخشاب وكل لوازم البناء والتأثيث من الهند وأوربا، ومن أهمها الباب الضخم الذي مازال إلى اليوم شاهدًا على المتانة وروعة فن العمارة.

والحديث عن ذلك البيت طويل ولا ينقضي، إلا أن أهم ما يميزه ما يلي:

١ - صغر مساحة البناء إذ لا يزيد على ٢٠م × ٢٠م = ٤٠٠م٢؛ قياسًا إلى ضخامة حجم البناء.

٢ - تناسق التصميم المتأثر بالعمارة التركية مع لمسات من الطابع الأوربي والهندي.

٣ - أرضية الفناء مبلطة بالكاشي بلونيه الأبيض والأسود كرقعة الشطرنج.

٤ - احتواؤه على أحواض الاستحمام (البانيو) منذ بنائه.

---

(٨٧) ديوان الرصافي، ٥/ ٢٠٤-٢٠٧.

٥ - خزائن الكتب التي تدور على قاعدة ثابتة تحتل زوايا المجلس.

٦- طاولة كبيرة ذات قاعدة محفورة على شكل طيور النحام (الفلامنغو) تتوسط المجلس.

٧ - خزائن الملابس ذات الخشب المحفور بألوانها الأسود الآبنوس والبني الفاقع.

٨ - تزيين الأرضيات والجدران بالسجاد العجمي الفاخر.

٩ - ثريات الكريستال المتنوعة.

استغرق البناء نحو سنتين ١٣٤٤-١٣٤٦هـ/ ١٩٢٥-١٩٢٧م(٨٨).

وكذلك كان منزل والده (إبراهيم المنديل) تحفة معمارية في الزبير(٨٩).

وفاة عبداللطيف المنديل:

استقال عبداللطيف المنديل في سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، فاعتزل السياسة، واقتصر نشاطه على الاهتمام بأعماله التجارية والزراعية الخاصة، لكن المرض دهمه في أواسط الثلاثينيات، وساءت أحواله الصحية، وأصيب بالشلل، وانتقل إلى جوار ربه في ٣ ذي القعدة ١٣٥٩هـ/ ٢ ديسمبر ١٩٤٠م(٩٠). ودفن في مقبرة الحسن البصري بمسقط رأسه الزبير.

---

(٨٨) يعقوب الإبراهيم، "بيت الباشا" في البصرة...، جريدة الشرق الأوسط، ع٩٥٨٧، السبت ٢٦/٢/٢٠٠٥م، ص٣١.

(٨٩) محمد الحميدان، المختصر من تأريخ مدينة الزبير في صور، ص٢٥٢-٢٥٤.

(٩٠) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ع٦٥٧٩، ص٢١.

ولا أجد رثاءً له مثل ما رثاه الشاعر معروف الرصافي، نثرًا، لا شعرًا، فقد قال: "ألقي إليَّ من البصرة كتاب سئلت فيه عن ثلاثة أشخاص عن المرحوم عبداللطيف باشا المنديل ونجله ماجد المنديل ووكيله العام عبدالعزيز المانع. وكان قد بلغني نعي الباشا المرحوم بواسطة الصحف اليومية العراقية فبكيته بكاء صامتًا بدمع جامد؛ لأنه كان صديقي الحميم تغمده الله تعالى برحمته الواسعة.

ولما كنت قد انقطعت عن الشعر لا إجبالاً بل اعتلالاً كتبت هذه الكلمة الموجزة جوابًا لذلك السؤال:

عبداللطيف باشا المنديل:

من أعجب مظاهر الإنسان وجهه فإنه مرآته الظاهرة المجلوة التي تلوح فيها صورته النفسية الباطنة، كما يلوح وميض البرق بأقصى الأفق في يوم الدجن حتى إني كتبت قصيدة في (وجه ابن آدم) ومما قلت فيها:

كل يشير إلى السريرة وجهه
فكأنه بضميره متلثم

وقد قال قبلي أحد الشعراء:

لا تسأل المرء عن خلائقه
في وجهه شاهد من الخبر

ولقد كان عبداللطيف المنديل شخصية عربية فذة، وكان ذا وجه كلما رأيته بملامحه العربية أتوسم فيه الخير كله؛ إذ كان يشف لي عما أجن في صدره من صفاء السريرة وحسن السيرة،

وكان هو - رحمه الله - يؤيد بأقواله وأفعاله ما أتوسمه في وجهه الكريم. وجه تنبعث منه الوجاهة، أسمر اللون، خفيف اللحية، صلت الجبين، يرسل إليك من عينيه نظرات تنبعث عن ذكاء متوقد وفطنة لامعة كما قلت مخاطبًا إياه في قصيدة:

إذا خفيت يومًا عليك حقيقة
نظرت إليها من ذكاء بمجهر
وإن ليلة الخطب ادلهمت كشفتها
بأوضاح صبح من فعالك مسفر
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
بأن بني المنديل أكرم معشر

وكان - رحمه الله - كريم الطبع، دمث الأخلاق، صادق اللهجة يؤنسك منه إذا جالسته بما ذكره لنا التاريخ عن رجال العرب الأولين من الخلال الحميدة السامية فلا يصدر منه تجاهك، إلا ما يحملك على مزيد احترامه وإعظامه. وأبرز خصاله الرائعة حرية الفكر مع الصراحة، فقد كان حرًا في أفكاره صريحًا في أقواله يقول الحق لا يخشى فيه لوم لائم، كما قلت فيه من أبيات جاء فيها:

حر الضمير مؤيد بفطانة
يرمي برأي في الأمور أصيل
إن قال حقًا قاله بصراحة
لم يخشَ لومة لائم وعذول"

المنديل والمملكة العربية السعودية:

كما كان المنديل عراقيًا وطنيًا مخلصًا، كان يكنّ لبلده الأصل المملكة العربية السعودية [نجد] حبًا وامتنانًا وولاءً وإخلاصًا، فهو وكيل مَلكها. ومن حبه للمملكة؛ أطلق اسم السعودية على أحد أحياء مدينته الأثيرة البصرة.

أما المملكة فلم تنكر جميله ومواقفه، فقد أطلقت أمانة الرياض العاصمة اسم المنديل على شارع كبير واسع في حي الربوة المعروف بالرياض، وقالت عنه: "تولى سفارة الملك عبدالعزيز في البصرة قديمًا، وكان وكيله في الشؤون السياسية في العراق في العهد التركي"(٩١).

أولاده:

تزوج عبداللطيف المنديل ثلاث زوجات، لم يبق له من أبنائه من الأولى إلا لؤلؤة، والثانية لم يرزق منها بولد، وقد تزوجها في الأحساء. أما الثالثة فقد أنجب منها: ماجدًا(٩٢).

ويذكر سبطه (ابن ابنته أديبة) عادل عبدالمحسن المنديل أن أولاده هم: ماجد، ومالك، وسعود، وأديبة، ونزيهة(٩٣).

---

(٩١) معجم أسماء شوارع مدينة الرياض وميادينها، ٢/٨١٧.

(٩٢) يعقوب الإبراهيم، بحث غير منشور، ص١٨.

(٩٣) محمد القشعمي، شخصيات: عبداللطيف المنديل ١٨٦٨-١٩٤٠م دبلوماسي من عهد التأسيس، الحلقة الثانية، المجلة العربية، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ، ص٨٤.

٦ - فوزان السابق: معتمد الملك عبدالعزيز في مصر (١٢٧٥-١٣٧٣هـ / ١٨٥٨-١٩٥٣م):

نسبه:

هو فوزان بن سابق بن عثمان بن فوزان آل عثمان، يجتمعون مع آل سند أهل القرينة في فَطّاي بن سابق بن غانم بن ناصر بن ودعان بن سالم ابن زايد، من الدواسر، سكنوا الشماسية وبُريدة(٩٤).

مولده:

ولد فوزان في مدينة بريدة إحدى مدن القصيم بالمملكة العربية السعودية عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م(٩٥).

طلبه العلم وشيوخه وزملاؤه:

طلب العلم في بلده بريدة أولاً، ثم في الرياض، ثم سافر إلى الزبير والكويت، ثم سافر إلى الهند للدراسة على علمائها. وتلقى العلم على شيوخ، هم:

١ - الشيخ سليمان بن محمد بن سيف، وقد حفظ عليه القرآن الكريم في أثناء وجوده في بلده بريدة.

٢ - الشيخ ناصر بن سليمان السيف (ت ١٣٣٧هـ)، وتعلم منه القراءة والكتابة، في كُتّابه في بريدة.

٣ - الشيخ أمين الشنقيطي، وقد درس عليه في رحلته إلى الزبير والكويت.

---

(٩٤) حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، القسم الأول، ص٣٢١.

(٩٥) السماري، المرجع السابق، ص٥٩٤.

٤ - الشيخ سليمان بن علي بن مقبل (ت ١٣٠٥هـ).

٥ - الشيخ محمد بن عمر بن سليم (ت ١٣٠٨هـ).

٦ - الشيخ محمد بن سليم (ت ١٣٢٣هـ).

٧ - الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٣٣٩هـ)، وقد درس عليه في الرياض.

٨ - الشيخ نذير حسين، عالم الهند، وقد درس عليه الحديث ومصطلحه، والتفسير في مدينة دلهي بالهند.

٩ - الشيخ سلامة الله الهندي (حسين بن حمد الأنصاري).

وفي رحلاته العلمية تلك زامل عددًا من طلبة العلم الذين صاروا من العلماء الأعلام بعد ذلك ومنهم:

١- الشيخ علي بن وادي، الذي رافقه في رحلاته إلى الرياض والزبير والهند.

٢ - الشيخ عبدالله بن مفدى، وهذان سافرا معه لطلب العلم في الرياض سنة ١٣٠٢هـ، حيث قرأ على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف.

٣ - الشيخ سليمان بن سحمان.

٤ - الشيخ عبدالله بن حسن.

٥ - الشيخ محمد بن إبراهيم.

٦ - الشيخ عبدالعزيز المرشدي. وهؤلاء الأربعة وغيرهم زاملهم في طلبه العلم في الرياض.

٧ - الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، الذي كان يدرس في الهند(٩٦).

كانت رحلاته في طلب العلم، ابتداءً من رحلته إلى الرياض، ثم إلى الزبير والكويت ثم إلى الهند، وطلبه العلم - رحلاتٍ شاقةً شيقةً معًا، عاد منها بحصيلة علمية طيبة.

أعماله التجارية:

بعد عودته من طلب العلم أخذ يمارس التجارة بالإبل والخيول، فكان يشتريها من أسواق نجد ويسافر بها إلى الشام والعراق ومصر، وكان أحد أفراد العقيلات الذين جابوا المناطق حول نجد بتجارتهم؛ بل إنه رأس عدة رحلات لهم أميرًا عليهم(٩٧).

أعماله السياسية واتصاله بالملك عبدالعزيز:

وكيل الملك في الشام:

اتصل بالملك عبدالعزيز بعد استرداد الرياض عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، واشترك في موقعة جراب عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، وأثناء ضم حائل عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م كان موجودًا في الشام وكانت سورية تحت الانتداب الفرنسي فاختاره الملك عبدالعزيز آل سعود وكيلاً له في منطقة الشام وعرف في ذلك الوقت بوكيل عظمة سلطان نجد.

---

(٩٦) إبراهيم المسلم، رجال من القصيم، القاهرة: الدار الفنية، ١٩٩٣م، ١/ ١٨٣.

(٩٧) إبراهيم المسلم، المرجع نفسه، ١/ ١٨٤.

في مصر:

وبعد ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م أذن الملك عبدالعزيز للشيخ فوزان السابق بالسفر من الشام إلى مصر، واستلام أعمال وكالة مملكة الحجاز، وأصبحت منذ تسلمها تعرف باسم وكالة مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها حتى تم توحيد المملكة وصار اسمها المملكة العربية السعودية يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ/٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م، فأصبحت الوكالة تعرف باسم وكالة المملكة العربية السعودية في مصر.

بعد إبرام معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م تحولت الوكالة إلى مفوضية وأصبح الشيخ فوزان السابق وزيرًا مفوضًا للمملكة العربية السعودية في مصر، وافتتح مقر المفوضية رسميًا بحضور رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا وبحضور عدد من الشخصيات المهمة ورجال السياسة العرب والمصريين. وعين عددًا من الوكلاء لرعاية مصالح القادمين من السعودية من العقيلات تجار المواشي من الإبل والخيول في غزة بفلسطين، ومنهم عبدالعزيز بن عبيد في العريش، وعبدالعزيز بن جميعة في القنطرة الشرقية، وعبدالله وسليمان الرميح في الإسماعيلية، وحمد بن مسلم. وإن كان هؤلاء الوكلاء يتولون الأعمال شرفيًا فقد كانوا يقومون على خدمة الرعايا السعوديين بكل جد ونشاط، وكان الشيخ فوزان السابق يمثل المملكة العربية السعودية في

الاجتماعات الرسمية، وكان على رأس مستقبلي الملك عبدالعزيز في زيارتيه لمصر عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م وعام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م، وهو الوزير المفوض والمندوب فوق العادة لدى الحكومة المصرية. وعندما توسعت أعمال القنصلية عين الشيخ عبدالله بن إبراهيم الفضل قنصلاً عامًا وزودت المفوضية بعدد من الموظفين.

أعماله في مصر:

تميزت أعمال فوزان السابق في مصر بتعدد الأنشطة، الثقافية والعلمية، والسياسية، والاجتماعية، وغيرها. وكان عميد السلك الدبلوماسي في مصر لأكثر من عشرين سنة.

وقد تابع الشيخ فوزان - رحمه الله - توجيهات الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بطباعة عدة كتب مهمة مثل المغني، والشرح الكبير، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، ومجموعة التوحيد، ومجموعة الحديث، ومجموع المتون، والرسائل والمسائل النجدية، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير، ونحوها من الكتب، ولقد تولى طبع هذه الكتب والإشراف عليها العالم الشهير الشيخ محمد رشيد رضا، وطبعت طباعة جيدة متقنة ونفع الله بها إذ طبعت ووزعت على نفقة الملك عبدالعزيز - رحمه الله -.

وكان الشيخ فوزان مدة إقامته بالقاهرة إذا علم بين أحد من أهل نجد نزاعًا أو خلافًا حل مشكلتهم برأيه وماله، وله هيبة عظيمة وتقدير في نفوس الرعايا السعوديين، إذ كان عقيل تجار الخيل والإبل يرتادون مصر بالألوف سنويًا،

ويقيم بعضهم هناك عدة شهور للتجارة بالخيل والإبل والأغنام(٩٨).

كذلك فقد نسخ بخط يده عددًا من الكتب في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، كما طبع كتاب "قواعد ابن رجب"، وعمل لتلك القواعد فهرسًا منظمًا ومصوغًا صياغة فقهية مفيدة، وطبع كذلك عددًا من الكتب على نفقته. وأسس كذلك مكتبة في مدينة بريدة، ثم وضعها في جامعها، وقد ضمت هذه المكتبة إلى المكتبة العامة في مدينة بريدة(٩٩).

وقد ألف الشيخ فوزان كتابًا سماه "البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار"، وهو كتاب يرد به على مطاعن وجهها مختار بن أحمد المؤيد العظمي إلى حنابلة نجد في كتاب سماه "جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام"، قال فوزان في مقدمة الرد عليه: كان حقه أن يسمى "حالك الظلام بالافتراء على أئمة الإسلام"، وقد نشر كتابه بعد وفاته(١٠٠).

وقد جاء في مقدمته في سبب تأليفه: "أما بعد: فإني لما كنت في دمشق الشام. وذلك في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة المصطفى، جمعتني فيها مجالس مع أناس ممن يدعون العلم، وآخرين ممن ينتسبون إليهم. فكانوا لا يتورعون عن الاعتراض على أهل نجد والطعن

---

(٩٨) صالح السليمان العمري، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، الرياض، ١٤٠٥هـ، ٢/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٩٩) إبراهيم المعارك، أعلام القصيم، ١/ ٥٣.

(١٠٠) علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية، ٢/ ١٠٤٤؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دمشق: مطبعة الترقي، ١٣٧٨هـ، ٧/ ٨٢.

عليهم في عقيدتهم، وتسميتهم بالوهابية، وأنهم أهل مذهب خامس، والغلاة من هؤلاء يكفرونهم... وقد جرت بيني وبين من ذكرتهم مباحثات عديدة في هذه المسائل التي هي أصل أصول الدين، وهي التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، ليكون الدين كله لله وحده لا شريك له... ثم إني توجهت إلى مصر وأقمت فيها، وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة: تلقيت كتابًا من الشام ومعه رسالة، ولما فتحت الكتاب وجدته من بعض الذين اجتمعت بهم في الشام. وحصل البحث بيني وبينهم في هذه المسائل التي أشرت إليها، يقولون لي فيه: "قد أرسلنا إليك بهذه الرسالة كي ترد عليها، إن كان عندك جواب"؛ فعرفت من كتابهم هذا وتحديهم لي فيه بطلب الجواب عن تلك الرسالة: أنهم قد استعظموها في نفوسهم، معتقدين أنها الغاية القصوى في فصل الخصام بيني وبينهم في هذه المسائل التي دار فيها البحث. فلما اطلعت على هذه الرسالة المذكورة إذا هي لرجل من المعاصرين من أهل الشام يسمى (الحاج مختار بن الحاج أحمد باشا المؤيد العظمي)، سماها (جلاء الأوهام، عن مذاهب الأئمة العظام) وهذا من الأسماء المقلوبة، فحقها أن تسمى (حالك الظلام، بالافتراء على أئمة الإسلام)؛ لأنها تنادي على جهل مؤلفها ومن أرسل بها إلينا، لأنها بضاعة مزجاة، تلقي من تروج عنده في هوة سحيقة، لا ترجى لمن يقع فيها النجاة. فإنه يقرر فيها عبادة غير الله تعالى، واتباع غير رسوله ﷺ، ويرد فيها على جميع علماء أهل السنة المعاصرين له، ومن تقدمهم من الأئمة المجتهدين المتبعين

لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، المقتدين بسلف الأمة وأئمتها. وقد جمع في رسالته هذه من الخلط والتناقض، وتحريف الكلم عن مواضعه شيئًا كثيرًا مما سنجيب عليه في محله إن شاء الله تعالى"(١٠١).

حبه للخيل:

اشتهر فوزان السابق إلى جانب عمله الرسمي، بتربية الخيول العربية، وكان عميد مربي الخيول العربية في مصر(١٠٢).

وهناك قصة الجواد "مهلهل" الذي كان من مقتنيات إسطبل الشيخ فوزان السابق في المطرية بمصر، وشهرة هذه القصة لارتباط اسم الجواد بقصة اكتشاف البترول في المملكة العربية السعودية، والقصة يرويها محمد الفوزان، نجل الشيخ فوزان السابق فيقول: القصة وقعت في سنة ١٩٢٧م (١٣٤٦هـ)، حضر المستر كراين(١٠٣) لزيارة الوالد بتوصية من المفوض الأمريكي بالقاهرة وطلب أن يرى الجياد العربية التي يمتلكها الوالد، وقد استعرضت أمامه الجياد الموجودة في الإسطبل وعندما وقف أمامه أحد الجياد صاح

---

(١٠١) فوزان السابق، البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢هـ، ص٣، ٤، ٥.

(١٠٢) إبراهيم المسلم، شخصيات من الذاكرة، ص١٨٠.

(١٠٣) تشارلز ر. كراين: رجل أعمال أمريكي، كان أحد أعضاء لجنة الرئيس الأمريكي ودرو ولسن، التي قدمت توصياتها الخاصة بسورية والعراق لمؤتمر الصلح المنبثق عن الأمم المتحدة، الذي عقد في فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى، وقد سميت تلك اللجنة باسم: لجنة (كنج – كراين). انظر: عبدالله بن ناصر الوليعي، الشماسية، ص٢٤٨. وانظر فيه تفاصيل زيارة كراين للمملكة.

بأعلى صوته "يا إلهي، ما هذه العظمة؟" هذا الجواد اسمه مهلهل ناصع البياض وآية من آيات الله، جمال وقوة، فاز بجميع السباقات التي اشترك فيها، لم يتمالك نفسه وهو يخرج دفتر شيكات من جيبه يوقع أحدها على بياض تاركًا للشيخ فوزان تقدير القيمة. قال الشيخ فوزان للمترجم قل للمستر كراين: "هو لك" وليدخل دفتر شيكاته في جيبه، فإن الحصان هدية مني له، لقد دهش المستر كراين لهذا التصرف من الشيخ فوزان. ولم يمض أيام حتى كان الحصان "مهلهل" على ظهر أحد المراكب المتجهة إلى أمريكا من ميناء الإسكندرية.

وفي ١٠ يوليو سنة ١٩٢٨م (٢٢ المحرم ١٣٤٧هـ) تلقى الشيخ فوزان رسالة من المستر تشارلز كراين وصورة للجواد وترجمة الرسالة:

عزيزي الشيخ فوزان

أرسلت إليك صورة لجوادك الجميل، وعلى الرغم من أن ولاية فرجينيا تشتهر بالجياد الممتازة، إلا أن هواة الفروسية الذين سمعوا عن جوادك يسافرون لمسافات شاسعة فقط ليروا جوادك ثم يبدون الإعجاب به.

أضمن هذا الخطاب سلامي لزعيمكم العظيم عبدالعزيز آل سعود ولك وأمانيَّ لكم ولبلدكم بالرفاهية.

المخلص لك

تشارلز - ر - كراين.

في إحدى زيارات كراين للشرق الأوسط قام بزيارة لمقر المفوضية أبدى رغبته في زيارة المملكة، وقد تمت هذه الزيارة ووصل المستر تشارلز كراين إلى ميناء جدة يوم الخميس ٢٧ ذو القعدة ١٣٤٩هـ/ ١٦ إبريل ١٩٣١م وكان يرافقه الأستاذ جورج أنطونيوس مؤلف كتاب "يقظة العرب" بصفته مترجمًا. كانت رغبة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - البحث عن مصدر للمياه في المملكة العربية السعودية بصفة عامة، ومناطق الحج بصفة خاصة، وكان عطاء الله أكبر.

كان الجيولوجي المستر كارل إس تويتشل أحد العاملين لدى المستر كراين في اليمن في مهمة للبحث عن المياه فأوعز له بالحضور إلى السعودية ووضع خدماته تحت تصرف الملك عبدالعزيز على أن تتكفل المملكة بتأمين تنقلاته وتأمين إقامته ومعيشته، فكان البحث عن مصادر المياه يتم بطريقة علمية كثر الحديث عنها، ولعل كتاب المستر تويتشل عن المملكة العربية السعودية أهم مصدر لعلم طبقات الأرض ومصادر المياه(١٠٤).

ولكن بدلاً من اكتشاف المياه، وفِّقَ تويتشل إلى اكتشاف البترول في المملكة العربية السعودية.

صفاته:

١ - سخاؤه:

كان الشيخ فوزان - رحمه الله - من رجال الدين والدنيا ومن أهل الفضل، فقد كان منزله بمصر أكثر من أربعين عامًا موئلاً وملجأ لأهل نجد، ولم يكن يجهل أحوال المقيمين

---

(١٠٤) إبراهيم المسلم، المرجع السابق، ١/ ١٨٦-١٩٠.

هناك، بل كان يتفقد أحوالهم ويساعد المحتاجين منهم، وكان يخصص للفقراء والمحتاجين منهم مخصصات شهرية، ولما توفي أتوا للسفير بعده يظنون أنها من السفارة. فقال لهم السفير الذي بعده: ليس عندنا لأحد منكم شيء. فعرفوا أنها من مال فوزان، وليست من السفارة.

وكان إذا علم على أحد من الرعايا السعوديين ما يوجب نصحه استدعاه ونصحه، وربما أمره بمغادرة القاهرة.

٢ - حكمته وعزة نفسه:

أورد ناصر السليمان العمري في كتابه: ملامح عربية قصة بعنوان "تقديم المال دون العرض"، وهي تدل على حكمة فوزان السابق وعزة نفسه، جاء فيها: "كان فوزان السابق الفوزان وجماعة من عقيل مسافرين في بادية الشام فنزلوا ضيوفًا لدى رجل من البادية وأقاموا ليلة في ضيافة البدو. وفي الصباح الباكر تحرك ركب عقيل وفي مقدمتهم فوزان السابق الفوزان وأخذوا طريقهم مغربين، وبعد ساعة من تحركهم لحق بهم رجل يركب فرسًا وشعر به هؤلاء الرجال، فقال فوزان السابق لرفاقه: تقدموا وأنا أنتظر صاحب الفرس. وصل صاحب الفرس إلى فوزان السابق وسلم وقال لفوزان: بتم عندنا ففقدنا كيس ذهب. فسأله فوزان عن مقداره، فقال: كذا جنيه. وكان فوزان السابق يضع جنيهات في محزم يخفيه تحت ثيابه فعد جنيهات تقابل جنيهات البدوي وسلمها له وقال: هذا بعدد جنيهاتكم ولا حاجة لسؤال جماعتي عن الذهب. فأخذها البدوي ورجع ومضى

فوزان وجماعته في رحلتهم التجارية. وبعد أيام جاء شاب بدوي من أهل الذهب إلى أهله ومعه عدد من الإبل، فسأله أبوه: من أين هذه الإبل؟ قال: اشتريتها من العراق، وقال: ومن أين لك قيمتها؟ قال: الذهب الذي عندنا. فعرف الأب أن ولده هو آخذ الذهب، ولكن ما العذر من الشيخ فوزان السابق وجماعته. فركب الرجل في أثر فوزان السابق فسلم وبادر إلى تقبيل أنف الشيخ فوزان السابق يعتذر ويطلب العفو والمسامحة، وقص القصة على الشيخ فوزان وجماعته، فقبل فوزان عذره واستعاد ذهبه"(١٠٥).

٣ - حبه للخير:

عندما قدمت الشيخ فوزان لبريدة اشترى بيتًا كبيرًا مجاورًا لمسجد الملك عبدالعزيز بالجردة الشهير بمسجد حسين العرفج إمامه السابق، فأشار الشيخ عمر بن سليم على الشيخ فوزان بإدخال البيت في المسجد، وإعادة بنائه فوافق - رحمه الله - ، وقد تولى الشيخ عمر - رحمه الله - الإشراف على بنائه، وبني أحسن بناء وأقواه، ثم إن وزارة الأوقاف أعادت تجديد المسجد في عام ١٤٠٠هـ بالمسلح على الطراز الحديث(١٠٦).

تقاعده:

عندما تقدمت به السن، طلب فوزان السابق مرارًا من الملك عبدالعزيز أن يعفيه من منصبه، لكن الملك لم يوافق إلا

---

(١٠٥) ناصر السليمان العمري، ملامح عربية، الرياض: دار الشبل، ١٤١١هـ، ص٧٥.

(١٠٦) صالح العمري، المرجع السابق، ص٤٣٢.

بشرط أن يختار من يحل مكانه، وأن يدربه على أعمال المفوضية، فاختار الشيخ عبدالله بن إبراهيم الفضل، بوصفه أحد الرجال الموثوق بهم، وبعد أن تمرس بالعمل، وافق الملك عبدالعزيز على إحالة الشيخ فوزان إلى التقاعد عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م. وكان عمره آنذاك تسعين عامًا.

وعندما أحيل إلى التقاعد تساءل بعضهم عن موعد خروج فوزان السابق من دار المفوضية، فكان رد الملك عبدالعزيز: تخرج المفوضية إلى مكان آخر، ولا يخرج فوزان؛ فالبيت هدية له مني، وبالفعل كلف فوزان بالبحث عن مكان آخر، ووقع الاختيار على (فيلا) مبنى في ميدان الرماحة بشارع الجيزة الرئيس، فكانت مقر المفوضية ثم السفارة بعد ذلك(١٠٧).

وفاته:

كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - قد شمل الشيخ فوزان السابق بعنايته، وكان دائم السؤال عنه في كل مناسبة، وقبل أن يتوفى الملك عبدالعزيز في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، كان فوزان قد حج وقابله في الطائف، وكان آخر لقاء بينهما؛ إذ لم يمضِ أكثر من ثلاثة أشهر حتى انتقل فوزان إلى جوار ربه في ٥ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ/٩ يناير ١٩٥٤م، ودفن بالقاهرة(١٠٨). وقد مات وعمره (٩٨) سنة(١٠٩).

---

(١٠٧) عبدالله الوليعي، الشماسية، ص٢٣٩.

(١٠٨) المرجع نفسه.

(١٠٩) صالح العمري، المرجع السابق، ص٤٣٣.

أبناؤه:

ولد لفوزان السابق عدة أولاد، ماتوا جميعًا قبل البلوغ، وبعد أن كبرت سنه ولد له ولد في غرة صفر ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩/٣/٢٢م سماه محمدًا، فلما بلغ الخبر الملك عبدالعزيز فرح لذلك، وأراد أن يداعب الشيخ فوزان، فأرسل له رسالة فيها: "سبحان من يحيي العظام وهي رميم".

تخرج محمد في المدرسة الإبراهيمية الثانوية عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، وفي كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، والتحق بوزارة الإعلام بجدة. ابتعث للدراسات العليا في الولايات المتحدة، حيث حصل على درجة الماجستير في القانون الدولي من جامعة جورج واشنطن عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

بعد عودته إلى وزارة الإعلام تدرج في مناصبها، حتى وصل إلى منصب كبير مستشاري الوزارة، وبقي فيه حتى وفاته في ٣ رمضان ١٤١٩هـ (١٩٩٨/١٢/٢١م)، رحمه الله(١١٠).

وبعد؛ فإن المصادر والمراجع التي تناولت حياة الشيخ فوزان السابق كثيرة؛ لكنها - مع الأسف - مكررة، يأخذ اللاحق عمن قبله؛ وحاولنا جهدنا أن تخرج معلوماتنا عن الشيخ فوزان السابق مبوبة، غير مكرورة، غنية؛ حتى تغدو مصدرًا لحياته، وخدمتهِ وطنَه.

---

(١١٠) عبدالله الوليعي، الشماسية، ص٢٥٧.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa

كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين

إعداد

د. عواطف بنت محمد يوسف نواب

٧٤٨ صفحة

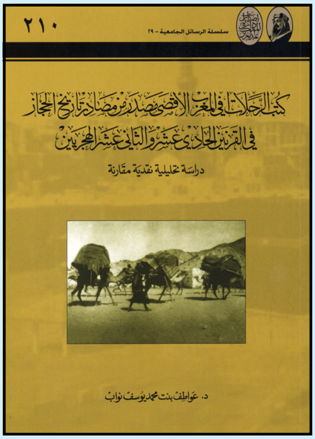

٢١٠

سلسلة الرسائل الجامعية - ٤٩

كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز
في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين

دراسة تحليلية نقدية مقارنة

د. عواطف بنت محمد يوسف نواب

يدرس هذا الكتاب كتب الرحلات في المغرب الأقصى إلى الحجاز التي تعد موسوعات علمية مصغرة تتضمن معلومات مهمة عن جميع أحوال المسلمين، وقد أظهرت تلك الكتب المكانة العلمية التي كانت مزدهرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف، ومن ضمنها وجود علماء مخترعين في علم الميكانيكا، إلى جانب وفرة الكتب وسهولة نسخها وتجليدها ونشرها.

وقد أبرز الكتاب من خلال كتب الرحلات تلك الحالة الدينية في الحجاز، وتناول تعدد الأجناس في مجتمعه وتنوع تركيبته السكانية، ودرس أيضًا الاضطراب السياسي الذي عم أرجاءه في زمن الدراسة، وعرض الجانب الاقتصادي الذي كان يغذى بالأعطيات والصدقات، يضاف إليها إتقان بعض أهل الحجاز مهنًا متنوعة مثل الصياغة والزراعة والبناء.